

## رأس الحسين في المدينة والمولد في القاهرة

(مولد وصاحبه غايب)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد فتمر الأيام، وتتابع الشهور، ويأتينا مولد الحسين رضي الله عنه، فيتوافد الآلاف لحضور الليلة الخاتمة، ويرتحل الأحباب والمريدون إلى أهم مولد في مصر، فتمام الحضرات، وتعدد الندوات، وتروج الأسواق، وتمتلئ صناديق النذور، وقد بدأ هذا التقليد في مصر في منتصف القرن السادس الهجري، ومن المعروف أن الحسين رضي الله عنه قتل في كربلاء وقطع الفجرة رأسه الشريف، سنة ٦١ هجرية، فلأبد أن وراء تأخر وصول الرأس خمس مائة عام، وارتحالها من كربلاء إلى القاهرة، مأساة إنسانية وقصصا وأساطير تلعب فيها الأهواء الدينية، والأغراض والمكاسب السياسية والمادية دورا بارزا، ويلزمنا أن نكشف الستار من خلال مجموعة مشاهد ولذلك سنرجع إلى الورا:

### المشهد الأول:

الزمان: ١٠ محرم سنة ٦١ هجرية، المكان كربلاء، موضع يعرف ب الطف تعس وشقي أحد هؤلاء: سنان بن أبي سنان أنس النخعي، أو شمر بن ذي الجوشن، أو رجل من مزجج، يقتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، وأحد ريحانتي النبي صلى الله عليه وسلم، وقطع رأسه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، وهم أفراد من جيش بعث به عبيد الله بن زياد وأمر عليه عمر بن سعد بن أبي وقاص. وبعثوا بالرأس إلى الشقي عبيد الله بن زياد في الكوفة.

### المشهد الثاني:

الرأس في الكوفة وصل الرأس الشريف من كربلاء إلى الكوفة، وشاهد العيان هو الصحابي الجليل أنس بن مالك، الذي يقول: " أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي عليه السلام، فجعل في طست، فجعل ينكت عليه، وقال في حسنه شيئا " قال أنس: " كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مخضوبا بالوسمة " هذا حديث صحيح متفق عليه. ثم أرسل عبيد الله بن زياد بالرأس ومن بقي من أهل بيته، ومنهم علي بن الحسين، وعمته زينب أخت الحسين رضوان الله عليهما إلى يزيد بن معاوية في دمشق. وهناك رأي يقول: إن عبيد الله بن زياد بعث بالرأس إلى المدينة مباشرة، والتاريخ والمنطق يرضاه، فعبيد الله بن زياد ليس بصاحب قرار، إنما الأمر ليزيد بن معاوية في دمشق، ولو كان لعبيد الله أن يسير الرأس إلى المدينة لما بعث بمن بقي من آل الحسين إلى الشام، فلنستكمل مسيرتنا مع الرأس الشريف إلى دمشق.

### المشهد الثالث:

الرأس في دمشق وهناك روايتان حول استقبال يزيد بن معاوية، لمن بقي من آل البيت، إحداهما تتناقلها الشيعة، وهي ملينة بالشمامة والكذب، حتى إنهم نقلوا فعل عبيد الله بن زياد إلى يزيد، والرواية الثانية هي الثابتة عند أهل السنة، أنهم لما قدموا على يزيد أدخلهم على عياله، وأحسن استقبالهم، وظهر منه الندم على فعل عبيد الله وهذا يؤكد

الطبري قائلا: "ولما حان وقت الرحيل إلى المدينة دعا يزيد بن معاوية علي بن الحسين، ثم قال له: لعن الله ابن مرجانة [عبيد الله بن زياد]، أما والله لو أني صاحبهما ما سألتني خصلة أبدا إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني وأنه كل حاجة تكون لك، قال: وكساهم، وأوصى بهم ذلك الرسول" (١)

ويقول ابن الجوزي: إن يزيد بن معاوية قال لعلي بن الحسين: "إن أحببت وصلتك ورددتك إلى بلدك، قال: بل تردني إلى المدينة، فوصله وردده" (٢)، ويستطرد قائلا: "ثم بعث يزيد بهم إلى المدينة، وبعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو عامله على المدينة، فكفنه ودفنه بالبقع عند قبر أمه فاطمة، هكذا قال ابن سعد" (٣).

ويقول الذهبي في سير أعلام النبلاء: "يقول ابن سعد، عن الواقدي، والمدائني، عن رجالهما، أن محفز بن ثعلبة العائذي قدم برأس الحسين على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحق الناس وأهمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم محفز أحق وألم، لكن الرجل لم يتدبر كلام الله: [قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ نُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ وَنَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ] [آل عمران-٢٦]، ثم بعث يزيد برأس الحسين إلى متولي المدينة، فدفن بالبقع عند أمه" (٤).

يقول ابن الأثير في الكامل: "ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين، ورعوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد بن معاوية، ومعه جماعة"،... كما يؤكد حزن يزيد عند سماعه مقتل الحسين بقوله: "قدمت عينا يزيد، وقال: كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله، لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين، ولم يصله بشيء" (٥). ويقول ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب [متوفى سنة ١٨٩ هـ]: "والصحيح أن الرأس المكرم دفن بالبقع إلى جنب أمه فاطمة، وذلك أن يزيد بن معاوية بعث به إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد الأشدق، فكفنه ودفنه. وتنقسم الآراء حول رأس الحسين، يقول الرأي الأول: إن الرأس دفن في دمشق، ومن القائلين بذلك ابن أبي الدنيا حيث يقول: "إن الرأس لم يزل في خزنة يزيد بن معاوية حتى توفي، فأخذ من خزنته، فكفن ودفن داخل باب الفراديس من مدينة دمشق" (٦). ويؤيده ابن كثير: "ويُعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثاني" (٧).

والرأي الثاني يقول: إن السيدة زينب رضي الله عنها، لا يمكن أن تترك رأس أخيها عند يزيد، وترضى أن تسافر إلى المدينة بدونه، خاصة وقد تلقت زينب بنت الزهراء وعلي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين ومن معها من آل البيت وعدا من يزيد بن معاوية بإجابة كل ما يطلبونه، ألا يطلب علي زين العابدين رأس أبيه، ألا تطلب الرباب بنت امرئ القيس رأس زوجها؟ ليس المطلب لجميع آل البيت أن يحملوا معهم رأس الحسين إلى المدينة ليدفنه إلى

جوار أمه أينسى آل البيت رأس عميد المنزل النبوي هكذا ويسافرون إلى المدينة؟! إن الفطرة السليمة تقتضي ألا ترتحل قافلة آل البيت إلى المدينة إلا والرأس معهم، إن أحدا لم يلتفت إلى هذه النقطة رغم أنها دليل وحدها، وحجة بذاتها، وبعضها أن من عادات العرب أن تبعث برأس القتل إلى قومه، كما أن هناك مصلحة ليزيد نفسه في رد الرأس إلى المدينة، ففي ذلك رسالة لكل من تسول له نفسه بالخروج عليه، وأيضا رسالة لعبد الله بن الزبير الذي يسير في نفس الخط الذي سار فيه الحسين، كل هذه القرائن والشواهد تؤكد مع الأخبار الصحيحة المنقولة عن انتقال الرأس إلى المدينة ودفنه بالبقيع إلى جوار أمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء رضوان الله عليها.

#### المشهد الرابع:

الرأس في المدينة يصف الحافظ أبو العلاء الهمداني مشهد وصول الرأس إلى المدينة بقوله: إن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة، فأقدم إليه عدة من موالى بني هاشم، وضم إليهم عدة من موالى أبي سفيان، ثم بعث بثقل (٨) الحسين ومن بقي من أهله معهم، وجهزهم بكل شيء، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر بها، وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إليّ، ثم أمر عمرو بن سعيد بالرأس فكفن، ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها السلام، وهذا أصح ما قيل في ذلك، وروى محمد بن سعد، أن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة، فدفنه عند أمه بالبقيع (٩). وينقل الزبير بن بكار وهو الحافظ النسابة (١٠)، عن محمد بن حسن المخزومي النسابة رغم علمه أنه شديد الضعف في الحديث، إلا أنه نقل عنه خبر حمل الرأس إلى المدينة، والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب.

تقرر حقائق التاريخ أن القصة تنتهي عند وصول الرأس الشريف إلى جنة البقيع، والرأي الآخر هو بقاء الرأس في مسجد الفريديس في دمشق، أو ما يعرف اليوم بمسجد الرأس هناك، إلا أن قصة غريبة ظهرت بعد أكثر من أربع مائة عام، تزعم أن رأس الحسين مدفون في مدينة عسقلان في قبر مجهول لا يعلمه أحد، وتأتي الحكمة الدرامية، والطبخة السياسية، والسبب المقنع، أن الفاطميين خافوا على رأس الحسين أن يقع في أيدي الصليبيين فقلوه إلى مصر. وتم لهم ذلك في ٨ يوم الأحد جمادى الآخرة عام ٥٤٨ هـ، ووصل إلى القاهرة، في ظل الدولة الفاطمية الإسماعيلية. والتي تستمد مكانتها من دعوى كاذبة أنهم من نسل الطاهرة فاطمة الزهراء رضوان الله عليها، والدولة تعاني ضعفا شديدا - ويهدم هذه الرواية:

١. في أي وقت نقل الرأس من دمشق إلى عسقلان، وما السبب في ذلك؟ علما بأن واحدا من المحققين لم يقل بذلك.
٢. الحروب الصليبية تعصف بالأمة وسقطت القدس ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ٤٩٢ هـ، فلم ترك الفاطميون الرأس الشريف ٥٦ سنة في عسقلان وأعادوه سنة ٥٤٨ هـ.
٣. ظلت الأمة خمس مائة عام ليس فيها مسجد للرأس في عسقلان، ولم يزره أحد من المؤرخين، ولا الرحالة المعروفين، فكيف بالله يظهر مسجد سنة خمسمائة ويظهر بأثر رجعي انتقال الرأس إليه؟

#### تفنيد القصة ونقض أركانها

#### أولا: بداية ظهور الرأس في عسقلان

١. يقول المقرئ يزي: "دخل الأفضل بن بدر الجمالي [سنة ٤٩١ هـ] عسقلان، وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي، فأخرجه وعطره وحمله في سقط إلى أجل دار بها، وعمرَ المشهد، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره، وسعى به ماشيا إلى أن أحله في مقره، وقيل: إن المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي، وكمله ابنه الأفضل" (١١). ومعنى كلمة دارس في اللغة العربية، أي: لا أثر له، محته الرياح وعفا، أي: مكان متهدم ليس له ما يميزه عن غيره، فكيف علم أن هذه المقبرة المتهمدة فيها رأس الحسين؟
٢. يقول عارف تامر في تاريخ الإسماعيلية: "وبالإمكان أن نضيف إلى أعمال بدر الجمالي تشجيعه للعمران والبناء، فقد ذكر أنه جدد جامع العطارين بالإسكندرية، وأنشأ جامع المقياس، والجامع العتيق بآسنا، وجامع أمير الجيوش بأعلى المقطم، ومشهد الحسين بعسقلان" (١٢)،
٣. تشرح لنا الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر عميد كلية الآثار من كتابها "أولياء الله الصالحون"، هذا اللغز بقولها: وجود النص التالي على منبر المشهد الخليلي بالقدس: "الحمد لله وحده، لا شريك له، محمد رسول الله، علي ولي الله، صلى الله عليهما، وعلى ذريتهما الطاهرة، سبحان من أقام لمواليا الأئمة مشهدا مجدا رفع راية، وأظهر معجزا بين كل وقت وآية، وكان من معجزاته تعالى إظهار رأس مولانا الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب - صلى الله عليه، وعلى جده، وأبيه، وأهل بيتهم - بموضع بعسقلان، كان الظالمون ستروه فيه، وإظهاره الآن شرف لأوليائه الميامين، وانسراح صدور شيعته المؤمنين، ورزق الله قتي مولانا، وسيدنا معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه، وعلى آبائه، وأبنائه المطهرين". وواضح أن الكاتب المجهول لهذا النص من الفاطميين، أخذها البعض شهادة اعتماد لأي رأس مستخرجة من مقبرة متهدمة وقدمها على أنها رأس الحسين، ولا نعرف أي تاصيل علمي هذا!

!!!!!! ابن الجمالي كان مهزوما لا يقدر على بناء المشهد ويقول ابن الأثير: "وفي رمضان من سنة ٤٩٢ هـ بلغ المصريين ما تم على أهل بيت المقدس، فجمع الأفضل أمير الجيوش العساكر، وحشد وسار إلى عسقلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهدهم، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على إثره، وطلعو على المصريين عقيب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريين خبر وصولهم، ولا حركتهم، ولم يكونوا على أهبة القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج فهزمهم، وقتلوا منهم من قتل، وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح، وغير ذلك، وانهمز الأفضل فدخل عسقلان، ومضى جماعة من المنهمزين فاستنروا بشجر الجميز، وكان هناك كثيرا، فأحرق الفرنج بعض الشجر، حتى هلك من فيه، وقتلوا من خرج منه، وعاد الأفضل في خواصه إلى مصر ونازل الفرنج عسقلان، وضابقوها فبذل لهم أهلها قطيعة عشرين ألف دينار، فعادوا إلى بيت المقدس" (١٣).

يوشك المريب أن يقول خذوني: إن الفاطميين الذين ينشغلون بتشييد مشهد الحسين يفرون أمام الفرنجة إلى مصر تاركين وراءهم رأس الحسين لمدة خمسين عاما! أما كان الأجدر أن يحمله طلائع بن زريك، وهو ينسحب من المعركة؟! أليس في تركه للرأس هدمًا كاملاً لفكرة نقل الرأس إلى القاهرة خوفاً من وقوعه في يد الصليبيين؟! فأين المنطق والعقل!؟

!!!!!! قدوم رأس إلى القاهرة والمشهد يصفه لنا المقريزي، فيقول: " وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليهما كان، والقاضي المؤتمن بن مسكين" (١٤). وبقي (الرأس) عاما مدفونا في قصر الزمرد حتى أنشئت له خصيصة قبة هي المشهد الحالي". نحن لا ننكر وقوع هذا المشهد، واختلافنا معه أن هذا الرأس لأحد الموتى في مقبرة عسقلان، ولا علاقة لها برأس الحسين رضوان الله عليه.

ومن هذا البحث يتأكد صواب قاعدة تاريخية أساسية هي: "من الثابت تاريخياً أنه لم يدخل أحد من الجيل الأول من نسل علي بن أبي طالب مصر"، وهي قاعدة متفق عليها بين العلماء المحققين، منهم الحافظ أحمد بن محمد السلفي [توفي سنة ٥٧٦ هـ] القائل: "لم يمت لعلي بن أبي طالب ولد لصلبه بمصر"، والحافظ المؤرخ حسن بن إبراهيم بن زولاق اللبثي المصري [ت: ٣٨٧ هـ] في قوله: "أول من دخل مصر من ولد علي: سكين بنت علي بن الحسين"، والمقريزي في الخطط وابن دقماق في الانتصار: "إن أول علوي قدم مصر محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي دخلها في إمارة يزيد بن حاتم المهلب بمصر [سنة ١٤٥ هـ]. والحافظ المؤرخ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري [ت: ٨١٤ هـ] لم أجد أحداً من أرباب التاريخ من صحح مشهداً بغير القرافة من أولاد علي إلا المشهد النفيسي؛ لأنها أقامت به في أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها". والحافظ السخاوي: "إن المنقول عن السلف أنه لم يمت أحد من أولاد علي بن أبي طالب لصلبه في مصر". ومن اللطيف أن أشير إلى مجموعة من الأحاديث المكنوية الموضوعية التي تروى عن فضائل مقبرة عسقلان، ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "صلى على مقبرة فأكثر الصلاة عليها، فسئل عنها، فقال: أهل مقبرة عسقلان يزفون إلى الجنة كما تزف العروس إلى زوجها"، وهذه الأحاديث ذكرها السيوطي في اللآلئ المصنوعة، الشوكاني في الفوائد، وابن الجوزي في الموضوعات الكبرى، وأبو الحسن الكنتاني في تنزيه الشريعة، وابن حبان البستي في كتابه المجروحين.

وفي الختام نؤكد إن الله تبارك وتعالى لينزه آل بيت نبيه الأطهار وعلى رأسهم الحسين والسيدة زينب رضوان الله عليهم، من كل ما تشمله هذه الموالد من أثم وكبائر ومعاصي والتي لا ينكرها إلا أحمق أو أعمى.

وصل اللهم وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين

محمود المراكبي

- تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري: ٢٣٢، ٢٣٣
- المنتظم في تاريخ الأمم، لابن الجوزي ٣٤٥:٥
- طبقات ابن سعد، والمنتظم في تاريخ الأمم، لابن الجوزي ٣٤٤:٥
- سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣: ٣١٧
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير ٣: ٢٩٨
- ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن عمر بن صالح، وهما ضعيفان
- البداية والنهاية، لابن كثير ٥: ٧١٣
- الثقل: متاع المسافر وحشمه
- البداية والنهاية، لابن كثير ٥: ٧١٢
- الزبير بن بكار ولد سنة ١٧٢ هجرية، وتوفي سنة ٢٥٦ هـ، ويترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٢: ٣١٣ بقوله: العلامة الحافظ النسابة قاضي مكة وعالمها، وهو مصنف كتاب نسب قريش وهو كتاب كبير نفيس، وفي تهذيب التهذيب: قال الخطيب: كان ثقة ثباتاً عالماً بالنسب عارفاً بأخبار المتقدمين، ومآثر الماضين، ووثقه الدارقطني".
- الخطط والآثار للمقريزي ١: ٤٢٧
- تاريخ الإسماعيلية عارف تامر ٢: ٣
- الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٩٠: ٨
- الخطط والآثار للمقريزي ١: ٤٢٧